مُلاحظات حول الحضور الموريسكي في جهة الوطن القبلي (الشمال الشرقي التونسي)

حسام الدين شاشية*

الملخص

نحاول من خلال هذا المقال دراسة بعض من الجوانب التي يطرحها الحضور الموريسكي في الوطن القبلي، على اعتبارها أحد المناطق الجغرافية المخصوصة التي استقر بها الموريسكيون عند قدومهم للبلاد التونسية. في العنصر الأول قمنا بمراجعة لبيبلوغرافيا هذا الحضور، ثم طرحنا موضوع كيفية استقرار هؤلاء السكان الجدد بالمنطقة أي عن طريق الشراء أم الإقطاع (الهبة) من السلطات. في العنصر الثالث حاولنا الوقوف على أهم الأنشطة التي مارسها الموريسكيون في المنطقة. أما بدايةً من العنصر الرابع، فقد قدمنا أهم المدن والبلدات التي استقر بها المُهجرون، أي بدايةً سليمان، بإعتبارها عاصمة الموريسكيين بالمنطقة، تليها قرمبالية التي اشتهرت بنسبة شيخ الأندلس مصطفى دي كردیناص أحد أهم الشخصيات الموريسكية لها، ثم مُدن ذات مستوى ثالث، على غرار: بلي، نيانو والخوين. اعتمدنا في هذه الدراسة بالإضافة إلى المصادر التونسية، كتابات الرحالة الأجانب، أي خصوصًا يوميات الراهب الإسباني فرنثيسكو خيمينث التي اطلعنا عليها في لغتها الإسبانية الأصلية، وهي مكونة من سبع مجلدات مخطوطة مازالت إلى اليوم غير منشورة ومحفوظة بالأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد. كما اعتمدنا كذلك وثائق الأرشيف الوطني التونسي، والزيارات الميدانية التي بدأنا القيام بها للمنطقة منذ سنة 2008.

الكلمات المفاتيح: الموريسكيون، الوطن القبلي، سليمان، قرمبالية، مصطفى دي كردیناص.

Résumé

A travers cet article, nous essayons d'étudier quelques facettes de la présence des morisques au Cap Bon ; une des aires géographiques où ils se sont installés en Tunisie. La première partie est consacrée à une relecture de la bibliographie relative à ce sujet. Nous avons ensuite présenté les différentes procédures d'installation : par achat ou par don des autorités locales. La troisième partie décrit les principales activités exercées par les morisques dans la région. Nous avons ensuite présenté les villes d'installation : Soliman, qui été la capitale morisque dans la région, Grombalia, une ville liée au nom d'une des plus importantes personnalités morisques : Cheikh Mustafa de Cardenas, et trois autres villes moins importantes : Belli, Nianou et Lakhouine. En plus des sources tunisiennes, nous nous sommes basés sur les récits des voyageurs européens, notamment, le journal du moine espagnol Francisco Jimenez, consulté dans sa langue d'origine. Ce journal, composé de sept volumes et conservé à l'Académie Royale d'Histoire à Madrid, est encore inédit. Nous avons aussi consulté les documents des archives nationales tunisiennes et effectué plusieurs visites de terrain depuis 2008.

Mots-clés : Morisques, Cap Bon, Soliman, Grombalia, Mustafa de Cardenas.

* أستاذ مساعد ـ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ـ جامعة تونس.

Abstract

Through this article, we try to study some facets of the presence of Moriscos in Cap Bon; one of the geographical areas where they settled in Tunisia. The first part is devoted to a rereading of the bibliography relating to this subject. We then presented the different installation procedures: by purchase or donation by the local authorities. The third part describes the main activities carried out by the Moriscos in the region. We then specified the cities of installation: Soliman, which was the Morisco capital in the region, Grombalia, a city linked to the name of one of the most important Morisco personalities: Cheikh Mustafa de Cardenas, and three other less important cities: Belli, Nianou, and Lakhouine. In addition to Tunisian sources, we relied on the accounts of European travelers, in particular the diary of the Spanish monk Francisco Jimenez, consulted in his native language. This diary, composed of seven volumes and kept at the Royal Academy of History in Madrid, is still unpublished. We also consulted documents from the Tunisian national archives and made several field visits since 2008.

Keywords : Moriscos, Cap Bon, Soliman, Grombalia, Mustafa de Cardenas.

Pour citer cet article :

حسام الدين شاشية، « مُلاحظات حول الحضور الموريسكي في جهة الوطن القبلي (الشمال الشرقي التونسي) »، السبيل: مجلة التّاريخ و الآثار و العمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد 12، سنة 2022.

الرابط: http://www.al-sabil.tn/?p=6162

التقديم

على الرغم من أن الحضور الموريسكي في تونس قد حظي باهتمام مُحترم من قبل الباحثين التونسيين والأجانب[1]، فإن العديد من الجوانب المتعلقة بهذا الحضور مازالت غامضة، إذ نلاحظُ نقصًا في الدراسات الجهوية، أي دراسة مناطق جغرافية محددة.

هنا يُمكن أن نلاحظ الاهتمام النسبي بجهة أقصى الشمال، أي منطقة بنزرت-العالية-غار الملح، وقرى ومُدن شريط حوض وادي مجردة، وتحديدًا مدينة تستور[2]، التي تعتبر عاصمة الحضور الموريسكي في تونس. في المقابل، وعلى الرغم من كثافة التركّز الموريسكي بجهة الوطن القبلي، واشتهار نسب سكانها في الأوساط الشعبية والعالمة للأندلس[3]، فإن هذا الحضور لم يحظى حسب رأينا بالعناية الكافية من قبل الباحثين، ما يجعل العديد من الجوانب والتفاصيل المُتعلقة بتوطين الموريسكيين بهذه المنطقة غامضة وفي حاجة إلى مزيد الدرس والبحث، من خلال توظيف مُقاربات جديدة، تقوم خصوصًا على المقاربة التراثية والأنطروبولوجية، أو بالاعتماد على مصادر ووثائق لم يتم التعويل عليها من قبل.

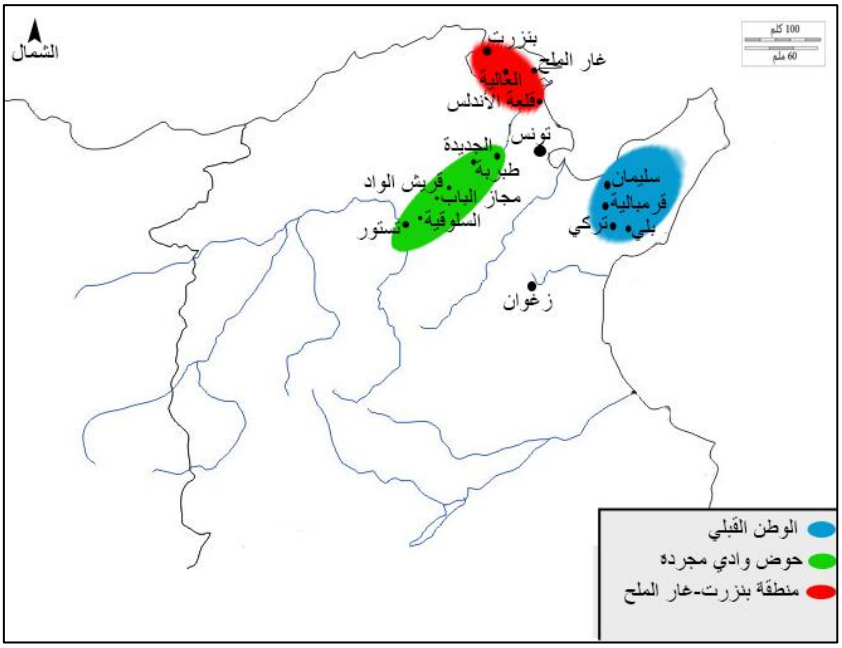

خريطة رقم.1. أهم مناطق استقرار الموريسكيين في تونس (المصدر: المؤلف).

1. بيبلوغرافيا الحضور الموريسكي في الوطن القبلي

قبل أن نقُدم محاولتنا، سنحاول القيام بمراجعة بيبليوغرافية للدراسات التي اهتمت بحضور الموريسكيين في الوطن القبلي، أين نلاحظ تركيز الباحثين على مدينة سليمان، وتحديدًا جامعها، حيث يمكن أن نذكر بحث سليمان مصطفى زبيس "جامع بلد سليمان" المنشور سنة 1977 بمجلة الهداية[4]. كذلك خصص الأستاذ أحمد السعداوي فصلاً لهذا الجامع في أطروحته المنشورة سنة 1996[5]. هذا بالإضافة إلى كتابات أحمد بوغلاب، ككتابيه "سليمان درة الأوطان"

[1] أحصينا أكثر من مئتي دراسة في مختلف المجالات وبعديد اللغات ما بين سنتي 1917 و2017. لمزيد التفاصيل والتعمق في قراءتنا لتطور المدونة البيبليوغرافية للحضور الموريسكي في تونس ومدلولاتها، أنظر دراستنا: حسام الدين شاشية، 2021، ص151-197.

[2] من بين هذه الدراسات يمكن أن نذكر:

Marcel Gandolphe, 1918, p.47-48.

[3] مثلاً حول اشتهار التأكيد على النسب الموريسكي لسكان الوطن القبلي، نجد في قصيدة أنشدها الكاتب والرحالة القيرواني محمد المقداد الورتتاني في الثلث الأول من القرن العشرين ونُشرت بجريدة الحاضرة حول الفيضانات التي عمت الوطن القبلي، يقول: الدهر شيمته يسر ويفجع/والنفس تجزع والتصبر أنجع/أهل الجزيرة عمهم سيل به/فقدوا الشعور ولم يسعهم موضع... أهل الجزيرة نسل أندلس أرى/من كان يخبر دهره لا يجزع/فكأن هذا اليوم يومكم الذي/هجرت جزيرتكم به والمربع. أورد الكاتب القصيدة في كتابه: محمد مقداد الورتتاني، 1914، ص156-157.

[4] سليمان مصطفى زبيس، 1977، ص. 71-75.

[5] Ahmed Saadaoui, 1996, p. 477-486.

(2012)[6] و"سليمان ذاكرة الأيام" (2015)[7]، التي تطرق فيها للجامع وكذلك بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بالحضور الموريسكي في سليمان، كذكر بعض الشخصيات والعادات والمأكولات ذات الأصول الموريسكية. أيضًا حول مدينة سليمان نجد مقالاً بالإسبانية لمحي الدين بن علي، يحمل عنوان "قرية أندلسية في القرن التاسع عشر: سليمان"[8].

حول مدينة سليمان أيضًا، نظمت جمعية صيانة المدينة سنة 2009، في إطار إحياء الذكرى أربعمائة لصدور قرار طرد الموريسكيين مؤتمرًا دوليًا بعنوان: "التأثيرات الحضارية الموريسكية في التراث التونسي"، تم فيه تقديم عدد من المداخلات الهامة، ومن بينها مداخلة الأستاذ محمد فوزي مستغانمي معنونة بـ: "جوانب من العلاقات الاجتماعية في سليمان من خلال دفاتر العدول".

كذلك وفي عملية رصدنا للبيبلوغرافيا الحضور الموريسكي في الوطن القبلي، يمكن الإشارة إلى دراسة حافظ ستهم حول مساهمة الموريسكيين في تطوير الفلاحة بالوطن القبلي[9]، والدراسة التي خصصها لطفي بن ميلاد لمدينة منزل بوزلفة، والمنشورة في مجلة دراسات أندلسية بعنوان "الأصول الوسيطية لقرية موريسكية: منزل بوزلفة نموذجًا"[10]. كما نذكر الدراسة الهامة للأستاذ أحمد السعداوي المنشورة سنة 2017، والتي تناول فيها العديد من الجوانب المتعلقة بالعمارة الموريسكية في الوطن القبلي، وتحديدًا في قرمبالية وسليمان[11]. كذلك نُشير إلى عدد من الأعمال التي أنجزت في الجامعة التونسية في مستوى الماجستير: كعمل تراكي برباري المعنون بـ: "بلدة سليمان في الفترة ما بين 1875 - 1877 من خلال دفتر عدول"[12].

ربما يمكن تفسير قلة الدراسات –نسبيًا- حول الحضور الموريسكي في الوطن القبلي بشُح المصادر والوثائق الأرشيفية خصوصًا في القرنين السابع عشر والثامن عشر (يختلف الأمر مع القرن التاسع عشر لتوفر الوثائق الأرشيفية[13])، فالمصادر الإخبارية التونسية، كالمنتصر القفصي في كتابه "نور الأرماش في مناقب القشاش" (1623)، لا يُقدم إلا بعض الإشارات المُقتضبة، حيث يشير إلى سكن الموريسكيين بالوطن القبلي بالقول: "ولما كثرت الأندلس بتونس وعمروا إقليمها ودوايرها وعمروا الجزيرة..."[14]. أما ابن أبي دينار، فيُخبرنا في كتابه "المؤنس في أخبار أفريقية وتونس" (1692) بأن الموريسكيين قد استقروا بعدد من مدن المنطقة، وبأنهم قد مارسوا عددًا من الأنشطة الفلاحية، دون تقديم أي تفاصيل أخرى، فهو يذكر في مُؤنسه: "...ومن بُلدانهم المشهورة سليمان وبلي ونيانو أو قرنيالية، وتركي..."[15]. كذلك، ينسخ كُل من الوزير السراج في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"[16] (1724) وأحمد ابن أبي الضياف في كتابه "الإتحاف في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان" (1870) ما أورده ابن أبي دينار[17].

شُح المصادر التونسية المحلية، يجعلنا في حاجة مُلحة للاعتماد على ما توردهُ المصادر الأجنبية، حيث أننا سنعتمد في هذه الدراسة خصوصًا كتابات[18] ويوميات الراهب الإسباني فرنثيسكو خيميناث دي سانتا كتالينا، الذي استقر في تونس بين سنتي 1720 و1735[19]، وزار مُدن وقرى الوطن القبلي في أكثر من مُناسبة. أيضًا، وبالإضافة إلى خيميناث فإننا سنعتمد الأخبار التي يسوقها الطبيب الفرنسي جون أندريه بيسونال الذي زار الوطن القبلي في نهاية شهر سبتمبر من سنة 1724[20].

---

[6] أحمد بوغلاب، 2012.

[7] أحمد بوغلاب، 2015.

[8] Muhiddine Ben Ali,1976, p. 97-114.

[9] Hafedh Sethom, 1973, p. 369-373.

[10] لطفي بن ميلاد، 2009، ص.75-83.

[11] Ahmed Saadaoui, 2017, p.133-168.

[12] تراكي برباري، 2014.

[13] أنظر في الملاحق قائمة الدفاتر المُتعلقة بالوطن القبلي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والمحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي.

[14] المنتصر ابن المرابط القفصي، 1998، ص 140.

[15] أبو عبد الله ابن أبي دينار، 1993، ص 228.

[16] أبو عبد الله محمد السراج، 1984، ص 158.

[17] أحمد ابن أبي الضياف، 1990، ج 2، ص 35.

[18] Francisco Ximénez, 1934.

[19] Francisco Ximénez, ms.9/6010 a 6014.

[20] جون أندريه بيسونال، 2004، الرسالة الثامنة، ص99-106.

2. توطين الموريسكيين بالوطن القبلي: شراء أم إقطاع (هبة)؟

يمكن أن نقف من خلال قصة أحد الموريسكيين الذي يُسمى محمد كورال الأندلسي على بعض جوانب العلاقات الاجتماعية التي ربطت موريسكي الوطن القبلي وتحديدًا مدينة سليمان وأحوازها بالسكان المحليين، فهذا الأخير ذكر لخيميناث بأنهم طردوا من إسبانيا لأنهم كانوا يتهمونهم بأنهم مسلمون، في حين أنهم هنا وللتقليل من شأنهم ينعتهم السكان المحليون بأنهم: "مسيحيون، أبناء مسيحيون"[21].

هذه الشهادة المهمة تعكس ربما جانبًا من طبيعة العلاقة التي جمعت موريسكيي الوطن القبلي بالجماعات الأخرى، علاقة لم تتسم دائمًا بالتواصل، بل قامت كذلك على المنافسة الاقتصادية والاجتماعية، فنحن لا نعلم بالضبط كيف تمت عملية التوطين في السنوات الأولى من وصول الموريسكيين إلى تونس، فهل وهبت الدولة الموريسكيين الأراضي التي استقروا بها في الوطن القبلي، لكسب مناطق على حساب القبائل غير الخاضعة لسلطتها بصفة كلية أو جزئية؟ خصوصًا ونحن نعلم أن هذه الدولة كانت لا تزال في بداية القرن السابع عشر في مرحلة تأسيس، تحاول السيطرة على كل مجالها؟ أم أن الموريسكيين قد اشتروا حقًا تلك الأراضي كما يذكر ابن أبي دينار ومن ورائه الوزير السراج، الذي يقول: "...وأذن لهم في إنشاء بلدان، فاشتروا هناشير ووضعوا فيها بُلدانًا".

حتى وإن رجحنا أن الفرضية الثانية هي الأقرب إلى الحقيقة، فإننا لا نعتقد أن استقرار الموريسكيين بالوطن القبلي، كان كما يذهب ابن أبي دينار بمحض إرادة هؤلاء، فنحن نرى أن عملية التوطين الجغرافي للموريسكيين قد تمت بتوجيه من جهاز الدولة، التي كانت توازن في هذه العملية بين مصالحها ومصالح القادمين الجدُد، فمصلحة الدولة تقتضي أن تنجح عملية التوطين، لذلك فإن المناطق التي أنزل بها المهجرون ومنها الوطن القبلي قريبة من مركز السلطة (تونس)، ليكونُوا دائمًا تحت مُراقبتها وحمايتها المباشرة.

في هذه النقطة، نحن لا نوافق ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن جهاز الدولة قد شكل من خلال خريطة الانتشار الموريسكي هلالاً، يبدأ من الوطن القبلي، مرورًا بزغوان، فشريط وادي مجردة، وصولاً إلى منطقة العالية-غار الملح-بنزرت ليحمي العاصمة من هجمات القبائل، فالمجموعات الموريسكية التي استقرت في تونس، لم تكن مجموعات محاربة كما هو الشأن لنظيرتها التي استقرت بشمال المغرب وتحديدًا بقلعة سلا، كما أن الخصائص العمرانية للقرى والمدن الموريسكية تدُل على أنها لم تكن مشيدة لغايات دفاعية، حيث تؤكد البقايا الأثرية ونصوص الرحالة غياب تحصينات أو أسوار تحمي هذه التجمعات ، التي كانت على ما يبدو هدفًا لهجمات بعض القبائل، كما يلمح الوزير السراج، فهو بعد أن يذكر عددًا من المدن والقرى التي أنشأها الموريسكيون والتي كانت أكثر من عشرين بلدًا، يقول: "ولكنها تلاشتها يد الفتن وانقرض أهلها ونفى أكثر سكانها الرعاع"[22].

إذن، يمكن القول أن الدولة عملت على استغلال الإمكانيات التقنية للموريسكيين، لذلك وجهتهم نحو مناطق تتوافق مع معارفهم في المجال الزراعي. في هذا الإطار أي تطوير الموريسكيين للنشاط الفلاحي في الوطن القبلي، يذكر خيميناث حول الموريسكيين المُستقرين في مدينة سليمان: "هؤلاء الموريسكيون أكثر موهبةً من العرب في مجال الفلاحة، كما لاحظنا أن بساتين الزيتون والعنب التي يملكونها في أحواز المدينة، كلها محروثة جيدًا بمساعدة البغال، الأحصنة والبهائم. إنهم يستعملون الكراريط كما هو الحال في إسبانيا. أشجار الزيتون والعنب مزروعة بطريقة مرتبة كما هو الأمر في اسبانيا... ليسهل فيما بعد عملية قطف الثمار"[23].

[21] Francisco Ximénez, vol.5, ms.9/6012, f°37r, 24/04/1722.

[22] أبو عبد الله محمد السراج، 1984، ص 152.

[23] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°117v-119v, 22/10/ 1724.

3. الأنشطة الاقتصادية لموريسكيي الوطن القبلي

يُخبرنا خيميناث عند زيارته لمدينة قرمبالية أن مصطفى دي كردیناص شيخ الأندلس أمر في بداية القرن السابع عشر بزراعة ثمانية عشر ألف شجرة زيتون، وأثنى عشر ألف شجرة لوز وعنب وأشجار مثمرة أخرى. ويذكر السراج في نفس المعنى: "...وأحدثوا بها جنات من أعناب وزيتون وغريب الفواكه والثمار"[24].

بالإضافة إلى النشاط الفلاحي، كان الموريسكيون في الوطن القبلي يمارسون أنشطة تحويلية في علاقة بهذا النشاط، فخيميناث يذكر أن مصطفى دي كردیناس أو كردیناص كان يملك معصرة زيتون[25]. أما بيسونال، فيُخبرنا أن موريسكيي سليمان كانوا يصنعون الجبن والزبدة[26]. كما تخبرنا بقايا طاحونة الريح التي مازالت موجودة في مدينة سليمان عن استعمال الموريسكيين لهذه التقنية المستوردة من اسبانيا في طحن الحبوب وغيرها[27].

يبقى السؤال مطروحًا حول الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي مارسها الموريسكيون في جهة الوطن القبلي، فخيميناث يذكر بعض الأنشطة الاقتصادية البسيطة المتعلقة بالبيع والشراء، في حين يشير بيسونال إلى أنهُ كان يوجد بقصر مصطفى دي كردیناص بقرمبالية ثلاثون نولاً لغزل الحرير، وصناعة الحرير هي من الصناعات التي يُرجح أن الموريسكيين هم الذين أدخلوها للبلاد أو على الأقل طوروها، فقد كانوا يُربون دودة الحرير في أشجار التوت وكان هذا النشاط يُمارس خصوصًا بمدينة الحرايرية في جهة منوبة.

من جهة أخرى يمكن أن نلاحظ –حسب ما يتوفر لنا من معطيات إلى حد الآن- أن موريسكيي الوطن القبلي لم يشاركوا في أهم نشاط حرفي مارسهُ الموريسكيون في تونس، أي صناعة الشاشية، عكس موريسكيي المناطق الأخرى، كالعالية، البطان، زغوان، والموريسكيين المُستقرين بتونس العاصمة.

من جملة النيف والعشرين بلدًا التي يشير إليها السراج، يذكر ابن أبي دينار أربعة عشر بلدة، منها ست توجد في الوطن القبلي، أي سليمان، بلي، نيانو، قرمبالية، تركي والجديدة. أما خيميناث، فيذكر في ترجمته الإسبانية لكتاب "المؤنس" الأسماء الإسبانية التي كان يطلقها الموريسكيون على بعض هذه القرى والمدن[28]:

الاسم العربي	الاسم الإسباني
سليمان	Soliman
بلي	Aga-Belli
نيانو	Coddo
الخوين	Higuera alia

جدول رقم.1. التسميات الإسبانية لبعض المدن والقرى الموريسكية كما يذكرها خيميناث.

4. سليمان: عاصمة الموريسكيين في الوطن القبلي

1.4. السراج أم السرايري: الوزير الموريسكي أصيل سليمان؟

يبدأ حديث بيسونال عن الموريسكيين بذكر الخزندار محمود السرايري، الذي يذكر بأن أصلهُ يعود إلى مدينة سليمان، يقول: "...ولكن خزندار هذه المملكة، فهو من أهل البرّ الذين أتحدث عنهم. إن سيدي محمود أندلسي الأصل، ولد

[24] أبو عبد الله محمد السراج، 1984، ص 152.

[25] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°120v, 29/10/1724

[26] جون أندريه بيسونال، 2004، ص 103.

[27] Ahmed Saadaoui, 2017, p.163-164.

[28] Budinar, ms.9/6015.

في سليمان بالمملكة، ويشغل منصب خزندار أو وكيل مال الباي..."[29]. يذهب المُترجم والباحث محمد العربي السنوسي إلى أن بيسونال قد أخطأ في التسمية وأن المقصود هو محمد الأندلسي المعروف بالوزير السراج، وهو ربما ما جعل معظم الباحثين يذهبون إلى أن الوزير السراج، أصله من مدينة سليمان والصحيح هو محمود خزندار.

التأكيد على أن مسقط رأس محمود السرايري يعود إلى مدينة سليمان هو أن السرايري قد سلّم إلى خيميناث عند نيته زيارة مدينة سليمان رسالة توصية إلى شيخ المدينة، يقول: "...زرت الخزندار الذي سلمني رسالة إلى شيخ سليمان، التي أنوي زيارتها...".

حول محمود السرايري، يذكر بيسونال بأنهُ كان مهتمًا بالأدب والثقافة وأنهُ دفع الباي إلى تكليف عدد كبير من النساخ بنسخ عديد الكتب في مواضيع شتى، وهو الأمر الذي يؤكدهُ خيميناث مُشيرًا إلى أنهُ كان يعمل على إنشاء مكتبة تضم أربعمائة ألف كتاب[30]. كذلك يخبرنا بيسونال عن إقامته هو وقناصل فرنسا وهولاندا وجنوة بحقل الخزندار المزروع كرومًا في أحواز مدينة تونس (على الأرجح في جهة سكرة) ويتحدث عن الوليمة الكبيرة التي أُعدت لهم.

2.4. الجماعة الموريسكية بسليمان وعلاقتها بالمحليين

من خلال سيرة محمود السرايري[31] كما يذكرها بيسونال وخصوصًا خيميناث يمكن أن نقف على بعض الجوانب من الحضور الموريسكي في مدينة سليمان، أي أولاً: استقرار عائلات موريسكية ذات أهمية بالمدينة (من الأعيان)، ما يدحض الرأي القائل بأن الذين استقروا بالمناطق الريفية (الوطن القبلي وحوض وادي مجردة) هم فقط من طبقة العملة الريفيين والطبقة المتوسطة.

ثانيًا، ومن خلال حديث خيميناث عن أصل عائلة الخزندار، أي كما أخبرهُ أب الخزندار وعمه الذي كان يتكلم بالإسبانية[32] في لقائه بهما بتاريخ 17 ماي 1722 أن أصل العائلة يعود إلى مدينة سرقسطة، التابعة لجهة أراغون، يمكن أن نذهب إلى أن عددًا مهمًا من الموريسكيين المستقرين بمدينة سليمان هم من هذه الجهة، وهو ما تؤكدهُ إشارة خيميناث إلى أن عددًا من العائلات المستقرة بالمدينة هم من الثغريين، أي الأراغونيين.

بالإضافة إلى الثغريين، فإننا نعلم من خلال قصة موريسكي آخر اسمهُ محمد كورال أن عددًا من الموريسكيين القشتاليين قد استقروا بالمدينة وأحوازها، فهذا الموريسكي الذي أهدى خيميناث دجاجتين وديكين، ذكر لهُ بأنهُ مستقر في سليمان وأن أصل عائلته يعود إلى مدينة لارودا La Roda، الواقعة في أقليم ألباثاتي Albacete بجهة قشتالة، يقول: "قدّم لنا محمود كورال الأندلسي دجاجتان وديكان. هو من أحفاد الأندلسيين الذين طردوا من إسبانيا، وكان أجدادهُ أصيلي مدينة لارودا. سبب هذه الهدية أننا إسبان، وأنهُ يسعدهُ أن يكون لهُ صداقات مع الإسبان. يقول بأنهُ من مكان يسمى سليمان ولا يبعد كثيرًا عن مدينة تونس..."[33].

يُخبرنا خيميناث أنهُ وصل إلى مدينة سليمان في 22 أكتوبر 1724 في الساعة الثانية بعد منتصف النهار، حيث سلم شيخ المدينة رسالة التوصية من الخزندار فأنزلهم بمنزل جيد. أما عن الوصف الذي يقدمهُ عن المدينة فهو يذكر أنها مكونة من تسعمائة منزل متوسطة، بعضها مسقف على الطريقة الإسبانية، والبقية على الطريقة المحلية، وأن هندسة هذه المنازل تقوم على مجموعة من الغرف التي تحيط بوسط الدار حيث يوجد بئر.

---

[29] جون أندريه بيسونال، 2004، ص 44.

[30] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°108r, 27/08/ 1724.

[31] لمزيد التفاصيل حول السرايري أنظر: حسام الدين شاشية، 2015، ج.1، ص481-482.

[32] Ximénez, *Discurso de Túnez, op. cit*., vol.5, ms.9/6012, f°87v, 88r, 29/06/1722.

[33] Ximénez, *Discurso de Túnez, op. cit*., vol.5, ms.9/6012, f°37r, 24/04/1722.

صورة رقم.1. واجهة أحد المنازل بالمدينة العتيقة بسليمان.
المصدر: المؤلف، 2009.

صورة رقم 2. أحد أحياء المدينة العتيقة بسليمان.
المصدر: المؤلف، 2009.

بعد ذلك، يتحدث خيميناث عن الساحة التي مازالت موجودة في المدينة حتى اليوم، أين كان يوجد مقهى يقول بأنهُ وسيلة الترفيه الوحيدة للسكان، حيث كانوا يشربون القهوة، يدخنون ويعزفون. كما يشير أيضًا إلى الجامعين الموريسكيين بالمدينة، أي الجامع الأول الذي يقول بأنهُ كان على ما يبدو معبدًا كبيراً وإلى الجامع الكبير غير البعيد عنهُ.

صورة رقم 3. مدخل الجامع الكبير بسليمان.
المصدر: المُؤلف، 2009.

صورة رقم 4. صومعة الجامع الكبير بسليمان.
المصدر: المُؤلف، 2009.

صورة رقم 5. الساحة والمقهى الذين أشار إليهما خيميناث.
المصدر: المؤلف، 2009.

أما عن سكان المدينة فيقول خيميناث أن ثلاثمائة عائلة هم من الموريسكيين، في حين أن ستمائة عائلة أخرى هم من المحليين، بمعنى أن الموريسكيين لم يكونوا يمثلون إلا نسبة 33 بالمائة من السكان، ورغم ذلك وكما يذكر خيميناث فإن السلطة المحلية المكونة من شيخ وثلاثة مساعدين أو محلفين Alguazils هي بيد الموريسكيين، وهؤلاء المحلفين والشيخ يتم انتخابهم من قبل الموريسكيين ويزكيهم فيما بعد الباي.

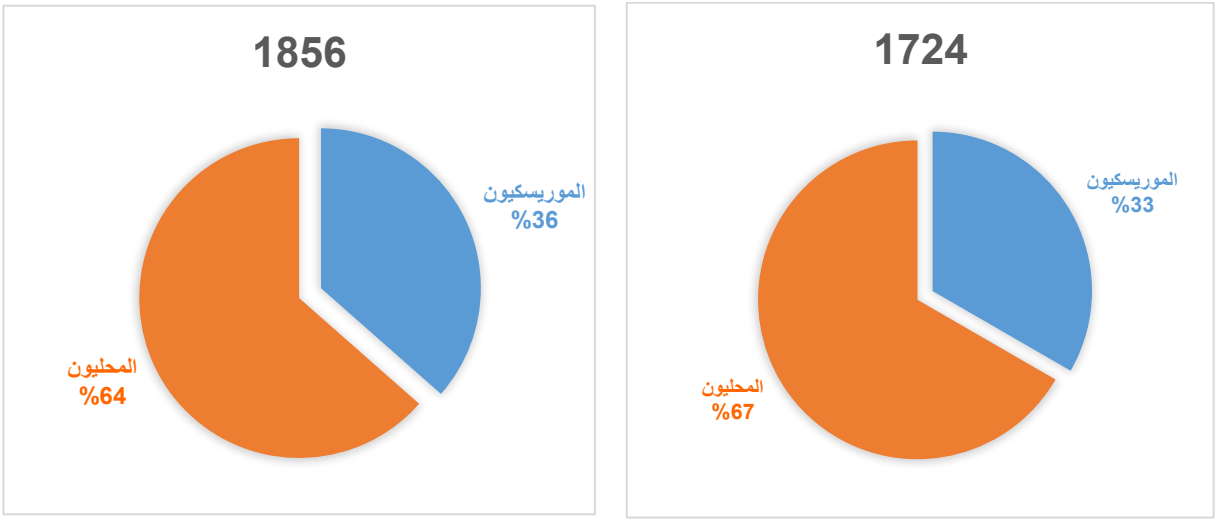

رسم بياني رقم 1 و2. تطور الحضور الموريسكي بمدينة سليمان[34].
المصدر: المؤلف.

من خلال المقارنة بين هذين الرسمين البيانيين، يظهر أن الحضور الموريسكي بمدينة سليمان قد حافظ على امتداد أكثر من قرن على نفس حجمه تقريباً. كما يمكن أن نؤكد تواصل حضور عدد من العائلات الموريسكية في مراتب الصدارة والوجاهة، على غرار عائلات ماضور، الريشكيو، ليبيرسو، كريستو وغيرها.

[34] بالإضافة إلى المعطيات التي قدمها لنا خيميناث، فقد اعتمدنا بالنسبة لسنة 1856 على المعطيات التي استخرجها رشاد الإمام من دفاتر الأرشيف الوطني. أنظر: رشاد الإمام، 1981، ص293-318.

يتحدث خيميناث عن علاقة سكان المدينة بالسلطة المركزية، حيث يشير إلى إعفائهم من قبل عثمان داي من دفع ضرائب إضافية، فهم لا يدفعون إلا العشُر، في حين أن البدو يدفعون الغرامة المفروضة على الأراضي المحروثة.

كذلك يحدثنا خيميناث عن الاختلاف الفيزيولوجي بين الموريسكيين (ذوي البشرة البيضاء) والمحليين (ذوي بشرة أكثر سمرة) والتمايز في العادات والأكل، حيث يقول بأن أكلهم على الطريقة الإسبانية مع بعض الاختلاف، أي ربما في إشارة إلى القرص، البناضج والكويارس التي مازالت تطبخ إلى اليوم في مدينة سليمان[35]، وأن هندامهم ولباسهم جيد، ويحبون المعرفة.

صورة رقم 6. البناضج والقرص.
المصدر: المؤلف، 2009.

صورة رقم7. الكويارس قبل الطهي.
المصدر: المؤلف، 2009.

[35] لمزيد التفاصيل حول هذه المأكولات أنظر: "المأكولات الأندلسية في سليمان"، الرابط: https://moriscostunez.blogspot.com/2009/04/las-comidas-dorigen-moriscas-en-soliman.html بتاريخ 22 جويلية 2019.

صورة رقم 8. الكويارس بعد الطهي.
المصدر: المؤلف، 2009.

أيضًا، يخبرنا الراهب الإسباني عن حضوره زواج موريسكي بالمدينة، والذي يُشبه في طقوسه كما يذكر عادات الزواج في بعض القرى الإسبانية، ويحدثنا عن التضامن بين الموريسكيين عند الزواج، حيث يقدم أهالي العروسين مساعدات مادية لهما لمساعدتهما على تحمل مصاريف الحفل وحاجيات المنزل الجديد.

هذا التضامن يظهر كذلك في حديث خيميناث عن المساعدات التي كان يقدمها أثرياء الموريسكيين بالمدينة إلى الفقراء، الأيتام، الأرامل والعجزة[36]. كما يظهر هذا التضامن في رواية بناء الجامع الكبير-كما أخبرنا بعض الأهالي- حيث كان الموريسكيون يضعون تحت سجادة محراب المسجد الأول الذي شيدوه بعد صلاة الصبح قدراً من المال، ثم يأتي المسؤول على البناء ليأخذ ما يستحقهُ من الأموال.

5. قرمبالية: مدينة شيخ الأندلس مصطفى دي الكردیناص أو القرمبالي

بعد يومين من الإقامة في سليمان، وصل خيميناث أول مرة إلى قرمبالية في 22 أكتوبر 1724 والتي زارها في مرتين أُخْرِيَيْنِ، أي في 22 سبتمبر 1726 و17 أكتوبر 1727.

في زيارته الأولى، يُخبرنا خيميناث أن القرية مكونة من ثلاثين منزلاً من السكان المحليين، وبأنهُ لم يقابل إلا عجوزًا واحدة فقط تتكلم الإسبانية، أخبرتهُ بأنها ولدت هناك في حين أن والديها ولدا في إسبانيا. كذلك يُشير في هذه الزيارة إلى قصر محمد باي الذي كان يعود إلى مصطفى دي كردیناص. بالإضافة إلى ما ذكرناهُ أنفًا فنحن نعلم أن مُصطفى دي كردیناص قد كان على الأرجح ثاني شيخ للأندلسيين في تونس بعد لويس ثباتا، وبأنهُ كان من أثريائهم، حيث بالإضافة إلى ممتلكاته الفلاحية بقرمبالية كان يتاجر في العبيد والشاشية وكان يسافر بين تونس، إيطاليا وفرنسا، كما كان لهُ علاقات مهمة مع حاكم البلاد يوسف داي والسلطات العثمانية في القسطنطينية، ولعب دوراً مهماً في الصراع الحدودي الجزائري-التونسي سنة 1627-1628 أو ما يعرف "بوقعة السطارة"، ويقال بأنهُ هو الذي أنقذ تونس من الغزو الجزائري[37].

[36] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°117v-119v, 22/10/ 1724.

[37] لمزيد التفاصيل حول مصطفى دي كردیناص، أنظر:

John Derek Latham, 1983, pp.157-178; Abdel-Hakim Gafsi, 1995, p.303-318.

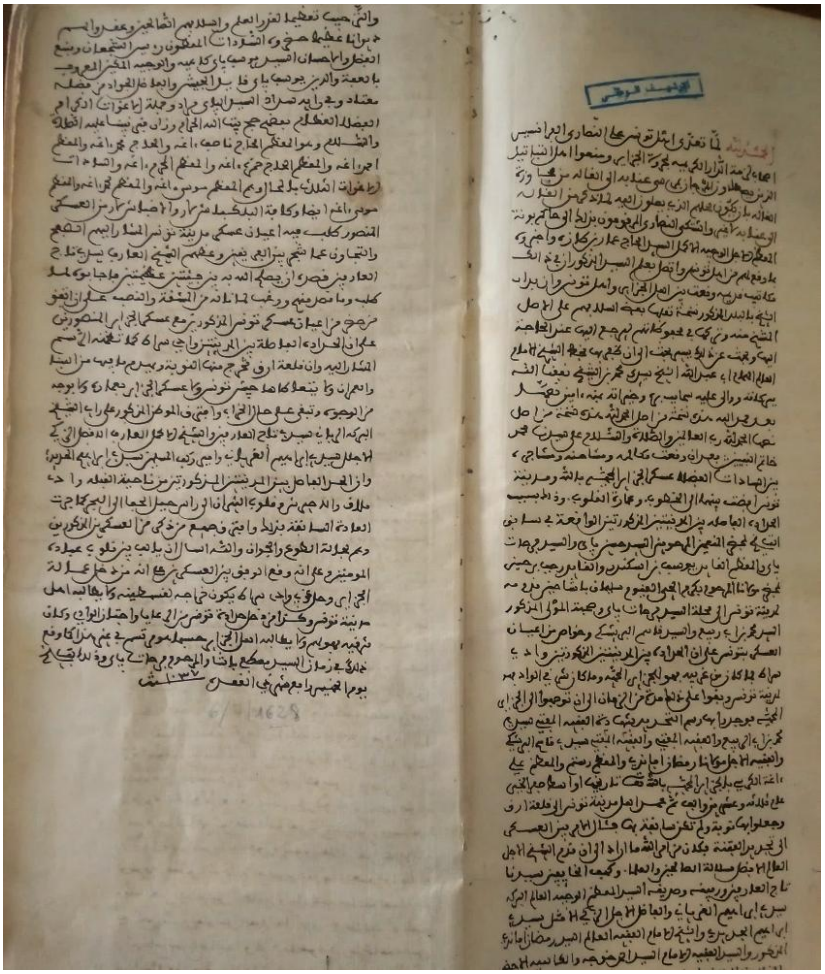

صورة رقم 9. معاهدة الحدود بين تونس والجزائر 1627-1628.
المصدر: الأرشيف الوطني التونسي.

المكانة الرفيعة لمصطفى دي كرديناص والأدوار الهامة التي لعبها لم تشفع لهُ، حيث وقع خلاف بينهُ وبين حمودة باشا حاكم تونس في خمسينات القرن السابع عشر، يقول ابن أبي دينار: "...وممن كان يأنف من مقامه، ويأبى أن يكون من خُدامه، الشيخ مُصطفى شيخ الأندلس، مكث عدة سنين في انحرافه وخلافه فأذاقهُ هوانًا، وألبسهُ من ثياب الذل ألوانًا، واستصفى جميع ما كان لهُ ومات طريدًا في غير وطنه"[38].

حول نفس القضية يذكر خيميناث أن حسد الباي لهُ جعلهُ يحاول قتلهُ، لكنهُ علم بهذه المحاولة فهرب إلى القسطنطينية حيث استقبل كأحسن ما يكون، ثم سكن بعض الوقت بالقاهرة وبعدها استقر بصفة نهائية بعنابة حيث زرع أشجار الزيتون والعنب كما فعل في قرمبالية[39]، وكان لهُ بها قصر شهير وجميل يُعرف بـ "سرايا الكردينص" أو "قصر القرمبالي"، كما عُرف في عنابة بتأليفه وإنشاده للمالوف، حيث يُنسب لهُ عدد من الأغاني، كقصيدة "حسن الحبيب"، التي يعبر في بعض أبياتها عن حنينه لوطنه تونس الذي نفي عنهُ، يقول: ما نموتتش غريب في بلاد السحابة+++يا ورد الشام وقرنفل عنابة[40].

[38] أبو عبد الله ابن أبي دينار، 1993، ص261.

[39] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°120v, 29/10/1724.

[40] رابط الأغنية المنسوبة كلماتُها لمصطفى دي كرديناص: https://youtu.be/omChJa2VAcI ، بتاريخ 28 جانفي 2022.

صُور رقم 10 و11 و12. بقايا مدخل قصر مصطفى دي كرديناص في عنابة.
المصدر: Farouk KH, Facebook بتاريخ 20 سبتمبر 2021.

في زيارته الثانية سنة 1726، يذكر خيميناث أن القرية تضم 30 منزلاً ومسجدًا وبأن سكانها من الموريسكيين والبدو وأن شيخ المدينة موريسكي[41]. في زيارته الثالثة التي كانت في طريقه إلى صفاقس سنة 1727 يشير فقط خيميناث إلى أن قرية قرمبالية موريسكية، بالإضافة إلى حديثه مرة أخرى عن قصر مصطفى دي كرديناص[42].

من هذه الإشارات، لا يمكن أن نقف على حجم الوجود الموريسكي بمدينة قرمبالية، كما يمكن أن نُلاحظ الاختلاف في رواية خيميناث بين زيارته الأولى التي لم ينسب فيها المدينة إلى الموريسكيين، وبين زيارته الثانية والثالثة التي أكد فيها أن القرية موريسكية. على كل حال يمكن أن نرجح أن وضعية قرمبالية شبيهة بسليمان، أي أنهُ على الرغم من أن الموريسكيين لم يشكلوا أغلبية عددية، فإنهم كانوا يُمسكون بزمام السلطة المحلية.

[41] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°277r, 22/09/ 1726.
[42] Francisco Ximénez, vol.7, ms.9/6014, f°43rv, 17/10/ 1727.

صورة رقم 13. مشهد عام لمدينة قرمبالية العتيقة.
المصدر: Henri Hass, Grombalia – Ville Arabe, 1931.

صورة رقم 14. أحد شوارع مدينة قرمبالية العتيقة.
المصدر: Henri Hass, Grombalia - Une Rue, 1931.

6. قرى وبلدات موريسكية أخرى: نيانو، الخوين، الجديدة، بلي

فيما يتعلق بقرى نيانو، الخوين، الجديدة وبلي فيذكر خيميناث بأنهُ زارها خلال رحلته الثانية للوطن القبلي، أي سنة 1726 . لا يقدم لنا خيميناث عن هذه القرى إلا بعض المعطيات القليلة، أي أن سكانها من الموريسكيين، مفصلاً الحديث قليلاً عن بلي التي يقول بأنها أنشأت على أنقاض مدينة قديمة وبأنها تضم ثلاثمائة منزل من الموريسكيين والبدو، وجامعًا (وجد به نقيشة لاتينية) وعددًا من الزوايا، وأن سكانها من الموريسكيين والمحليين[43]. من هذه الشهادة نلاحظ أهمية بلي التي وُجد بها ثلاثمائة منزل بالمقارنة مع قرمبالية التي لا يوجد بها إلا ثلاثين منزلاً.

صورة رقم15. بقايا آثرية لقرية الجديدة.
المصدر: Henri Hass, Grombalia – Ruine de Djedida, 1931.

بالإضافة إلى هذه المناطق التي ينسبها خيميناث إلى الموريسكيين، فإن بيسونال يخبرنا عن مدينة طبرنق، التي زارها وقد أضحت في حالة من الخراب، بعد أن كان الموريسكيون قد سكنوها عند قدومهم من إسبانيا، وأعادوا بنائها على أنقاض مدينة قديمة، "ولكن مرض وبائي، ونوع من الطاعون، أفنى كُل السكان، وهكذا أصبحت مرة ثانية خربة ومهجورة. ونُلاحظ بقايا المدينة القديمة والحديثة"[44]

إذن، باستثناء هذه المناطق التي ذكرناها آنفًا فإن خيميناث وبيسونال لا يشيران إلى أي وجود موريسكي آخر في منطقة الوطن القبلي، فبالنسبة إلى منزل بوزلفة التي زارها خيميناث سنة 1726 فهو يقول أن إنشائها يعود إلى أحد الأتراك الذي يسمى "حميدة بوزلفة"، ما ينفي نظرية أن تسمية المدينة تعود إلى عائلة موريسكية كانت تقطن بالعالية، حملت لقب "بوزلفة. كذلك يذكر خيميناث بأنهُ كان يوجد بالقرية مئتي منزل، جامع وعدد من الزوايا وأن سكانها من المحليين ويشتغلون بالأنشطة الفلاحية.

[43] Francisco Ximénez, vol.6, ms.9/6013, f°277rv, 23/09/1726.

[44] جون أندريه بيسونال، 2004، ص106.

هذا الأمر يجعلنا ندعم نظرية أن منزل بوزلفة وغيرها من مدن الوطن القبلي، قد عرفت هجرات موريسكية داخلية بعد زيارة خيميناث لها، أي بعد حروب العائلة الحسينية الداخلية والغزوات الجزائرية، التي كان يتم فيها كل مرة إخلاء القرى الموريسكية الموجودة في حوض وادي مجردة، أي خصوصًا مواجهات سنتي 1735 و1756.

كذلك، فإننا نعتقد أن بعض الموريسكيين الذين كانوا مُستقرين بالوطن القبلي، عادوا بعد مدة وبالنظر للصعوبات التي واجهوها في علاقتهم بالسكان المحليين للعيش في مدينة تونس، وهو الأمر الذي يشير لهُ خيميناث بالقول: " ...بعض هذه المناطق والبلدان عانت بعد ذلك من الخراب الكبير بسبب الحروب. توجه المُلاك للعيش في مناطق كبيرة، وبقي هناك الخماسون والرعاة".

وإن حصرت المصادر وشهادات الرحالة الحضور الموريسكي في الوطن القبلي ببعض المناطق، فإن بعض الألقاب والتسميات توسع هذا الحضور إلى مناطق أخرى، فمثلاً نجد بمدينة بني خلاد بعض العائلات الموريسكية كعائلة "شلاكو"، "السياري" و"اللونقو". كما نجد في وثائق الأرشيف الوطني بنفس المدينة تسمية "غرس بئر الأندلسي" أي حقل بئر الأندلسي، ما يعكس ربما حضورا موريسكيا بالمدينة. أما مدينة منزل بوزلفة فنجد بها بعض العائلات المنسوبة للموريسكيين كـ: "الإمام"، "مورو"، "الشيخ" وغيرها.

الخاتمة

من كل ما سبق، يتأكد مرةً أخرى الحاجة إلى تعميق معرفتنا بالحضور الموريسكي في الوطن القبلي، فمن جهة – وأمام غياب المصادر الإخبارية والوثائق الأرشيفية- مازلنا نجهل الكثير من التفاصيل عن فترة التوطين، فهل حقًا أن المدن والقرى الموريسكية الموجودة بالوطن القبلي قد وقع انشائها من الصفر أم أن الموريسكيين قد أنزلوا بتجمعات ريفية صغيرة كانت موجودة قبلهم، ثم ساهموا في تطويرها ديمغرافياً واقتصاديا ومعماريا، لترتقي إلى مستوى المدن المتوسطة كما هو حال سليمان أو إلى مستوى البلدات الصغيرة كما هو الأمر بالنسبة لبلي وقرمبالية؟

من جهة ثانية، نحن في حاجة لإعادة تركيب تطور الحضور الموريسكي بالوطن القبلي، أي كيف تطور هذا الحضور منذ بداية القرن السابع عشر إلى يوم، فمثلاً، نحن مازلنا نجهل الكثير عن النصف الثاني من القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، على الرغم مما يمكن أن تقدمهُ لنا المُعطيات الواردة في وثائق الأوقاف ودفاتر العدول. كذلك، نحن في حاجة أكيدة للقيام بدراسات تراثية، لجرد ما بقي من معالم وعادات موريسكية، كما تبدو الدارسات الأنثروبولوجية ذات أهمية بالغة، لمعرفة مدى الحضور الموريسكي في ذاكرة السكان سواء كانوا موريسكيين أو محليين.

الملاحق

ملحق رقم1: شهادة الراهب فرنثيسكو خيميناث حول الحضور الموريسكي بالوطن القبلي[45]

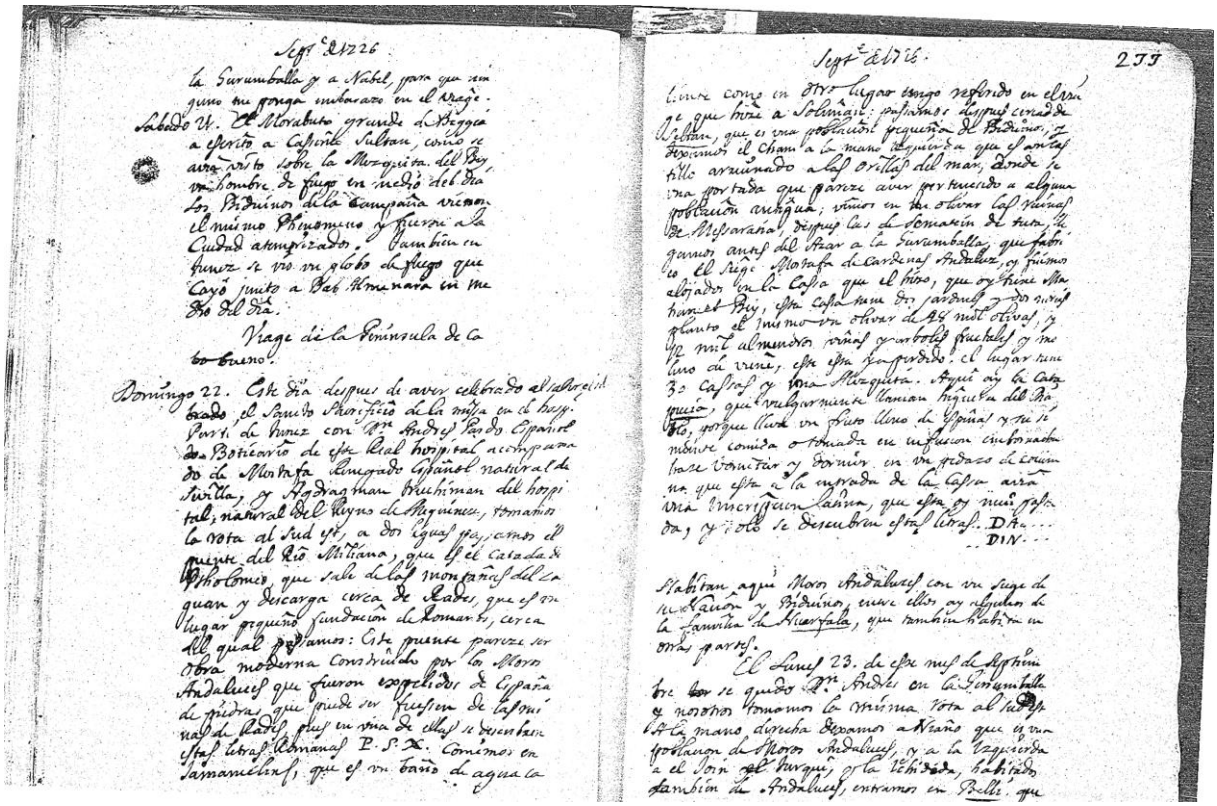

صورة رقم 16. الورقة الأولى من وصف خيميناث لرحلته إلى الوطن القبلي يوم الأحد 22 سبتمبر 1726.
المصدر: Source: Ximénez, Discurso de Túnez, op. cit., vol.6, ms.9/6013,, f°277r, 22 septiembre 1726.

مدينة سليمان (زيارة مؤرخة بـ 22 أكتوبر 1724)

ذهبتُ لزيارة الخزندار الذي اعطاني رسالة لشيخ سليمان، التي قررتُ زيارتها في اليوم الموالي هي والمواقع القريبة منها. وصلنا إلى سليمان في الساعة الثانية بعد الظهر. أعطيتُ للشيخ الرسالة التي سلمني إياها الخزندار، فأسكننا في منزل مقبول...تسعمائة منزل...متوسطة، وبعضها لديها أسقف على الطريقة الإسبانية، والبقية أسقفها على الطريقة التونسية. كلها بها فناء مُبلط وأبْار...

ساحة صغيرة...وهناك يوجد مقهى، يذهب إليه الموروس (المسلمين) للترويح عن أنفسهم، لأنهُ ليس لديهم أي وسيلة ترفيه أخرى؛ أخذنا (هناك) قهوة، دخّنا وعزفنا على بعض الآلات الموسيقية. بُنيت هذه القرية على أنقاض قرية قديمة، تسمى كاسولا Cassula (وقد) بناها الموروس الأندلسيون الذين طردوا من إسبانيا بقرار من فيليب الثالث في سنة 1610.

يسكن حاليًا (سليمان) ثلاثمائة عائلة من الموروس الأندلسيين والثغريين وستمائة (عائلة) من البدويين. السلطة القضائية دائمًا في يد الأندلسيين؛ وهي تتكون من حاكم أو شيخ، ثلاث قضاة وثلاثة مأمورين قضائيين Alguazils: الأول مُنتخب بالتصويت من كل أحفاد الموروس الذين قدموا من إسبانيا، وإذا لم يطالب الناس بواحد آخر فأن فترتهُ تتواصل. القضاة هم من الموروس الإسبان ونفس الشيء بالنسبة للمأمورين القضائيين...

[45] اعتمدنا في عملية التعريب على النُسخة الأصلية من يوميات خيميناث والمقال الذي نشرهُ ميكال دي إيبالثا، وكذلك الترجمة الفرنسية لهذا المقال.
Mikel De Epalza, 1984, pp.195-228; Mikel De Epalza, 1980, p.79-108.

منذُ انشائهم لهذه القرية، وقع الاتفاق مع عُثمان داي على اعفائهم من الضرائب، باستثناء العُشر على الفواكه، وخلال بعض السنوات بهذه الجهة كانوا يدفعون بعض الأشياء على المحلات وأماكن البيع العامة. العرب (البدو) الذين يسكنون هناك كانوا يدفعون الغرامة للباي؛ لا تتدخل السلطة الأندلسية للحصول على هذه الضرائب، فمن يقوم بهذه المُهمة هو وزير مُعين من الباي، ليس لهُ أي سلطة أخرى سوى تحصيل هذه الضرائب، لأن بقيت القضايا هي من مشمولات القضاء الاندلسي.

الموروس الأندلسيو ن مُختلفون عن العرب أو البدو في لون بشرتهم، كمال أجسامهم، في التصرف والعادات. الأندلسيون أكثر بياضًا، أجسادهم مقدودة وبدينة بشكل أفضل، يُشبهون الإسبان في كل شيء، أكثر فضولاً وأفضل لباسًا، وهي العادات التي حملوها من إسبانيا. اسمع ماذا يقول كاتب موريسكي مجهول في كتاب باللغة الإسبانية: "بعد عودتنا إلى أرض الإسلام، اتسمت حياتنا بالبساطة، ولكن...الشهوة... والغرور لا يتركون مجالاً لما هو جيد، وكان الناس يتمتعون بإظهار تأنقهم وثرائهم، الذي لم يكن موجودًا عندما جئنا. اليوم هم (الموريسكيون) في وضعية مُترفة إلى درجة أنهُ يمكن مقارنتهم بأرقى الأكابر، خصوصًا فيما يتعلق بزينة النساء، بحيث كل واحدة منهن تضع مقدارًا من الذهب لا نراهُ إلا في دكاكين (الصاغة) الأكثر ثراءً. وكانت العادة تفرض أن حتى الأكثر فقرًا (من الموريسكيين) يضعون أشياء حتى ملكات هذه البلاد لم يكونوا يضعونها قبل قدومهم"، انتهى الكاتب المُشار إليه.

هؤلاء الموروس أكثر تحضُرًا ولباقةً من العرب؛ أكلهم على الطريقة الإسبانية مع بعض الاختلاف. عندما كنتُ في هذه القرية، كانوا يحتفلون بزواج بعض الأندلسيين. يحتفلون لمدة ثلاثة أيام بآلات موسيقية قبل إقامة الزواج في منزل العريس. في اليوم الأخير، كل أفراد هذه الأمة (يقصد كل الموريسكيين)، يذهبون إلى العروس لحملها إلى العريس، يحملون الشموع المُشتعلة ويغنون الأغاني التي تعودوا على ترديدها في الطريق، والمختلفة عن العرب.

وبالإضافة إلى الاحتفالات الدينية المُشتركة، فلديهم عادة، نجدها في بعض القرى الإسبانية، والتي تتمثل في أن كُل رجال هذه الأمة، متزوجون أو عزاب يقدمون هدايا أو أموال للزوج، في حين أن السيدات أو الصبايا يفعلون نفس الشيء مع العروس، ما يجعل الزوجين الجديدين يحصّلان ثروة مُحترمة ليتمكنوا في بداية حياتهم من تدبير أمرهم. وبدورهم يقدمون أشياء بنفس القيمة عندما يتزوج الآخرون. ينفقون العديد من المصاريف خلال الزيجات، لأن كل أفراد هذه الأمة مدعوون للمشاركة في الاحتفال، وبسبب المهر والهدايا التي يقدمها الأقارب لبعضهم البعض، فإن الزوج يمكن أن يُنفق حوالي من خمسمائة إلى ستمائة بسوس.

هؤلاء الموروس الأندلسيو ن أكثر حذقًا من العرب في فلاحة الأرض كما لاحظنا في الحدائق، بساتين الزيتون والعنب التي يملكونها في أحواز القرية؛ كلها محروثة بشكل جيد بمساعدة البغال، الخيول والثيران. يستعملون العربات كما في إسبانيا. أشجار الزيتون والعنب مزروعة بطريقة هندسية مُنظمة كما هو الأمر في إسبانيا...لكي يتم قطف ثمارها على أحسن ما يكون.

مياه الآبار-لأنهُ لا يوجد لا عيون ولا أنهار- جيدة جدًا وتفتح الشاهية، حسب رأيي. لديهم ألف بسوس تركها بعض الأثرياء الأندلسيين لتقدم كصدقات إلى الفقراء. قاموا بتوزيعها بعدل على الأرامل، الأيتام، الفقراء، المتسولين والشيوخ العاجزين. بالنسبة للجنازات فإنهم مُختلفون بعض الشيء عن الموروس الأخرين.

من القرية القديمة، لم يبقى سوى بناء من الحجارة البسيطة والذي على ما يبدو قد كان معبدًا كبيرًا، وقد تم تحويلهُ اليوم إلى جامع للموروس... بجانب الجامع الرئيسي للأندلسيين، نرى حجارتان...

مدينة قرمبالية (زيارة مؤرخة بـ 29 أكتوبر 1724)

انطلقنا من هنا نحو قرمبالية أين قضينا الليلة. قرمبالية هي قرية تضم حوالي ثلاثون منزلاً؛ قابلتُ عجوزًا واحدة فقط تحدثت معي باللغة الإسبانية وقالت لي بأن والديها قد قدما من إسبانيا، وأنها ولدت بهذه الأرض.

أهم منزل هو منزل محمد باي، الذي كان قد بناهُ الشيخ مصطفى، مورو غني، من الذين قدموا من إسبانيا. هذا الأخير زرع هنا غابة زيتون تضم ثلاثين ألف شجرة، وفيما بينها (زرع) أشجار لوز. وجلب إليها الماء من الجبال المُجاورة. كان يملُك ثلاثمائة عبد أسود ومسيحي. زرع كرمات العنب وغيرها... للمنزل حديقتان، ونوافير مياه جميلة جدًا مع بركة مياه.

كان هذا المورو قويًا جدًا إلى درجة أن باي تونس وبسبب الحسد، حاول قتلهُ. ولكنهُ علم بذلك فرحل إلى القسطنطينية أين وقع استقبالهُ بإجلال. ثم قضى بعض الوقت في القاهرة ثم جاء إلى عنابة، أين زرع أشجار زيتون وعنب كما فعل في قرمبالية حتى وفاتهِ.

مدينة قرمبالية (زيارة مؤرخة بـ 22 سبتمبر 1726)

وصلنا في بداية المساء إلى قرمبالية، وهي قرية أنشأها مُصطفى دي كردیناس الأندلسي، سكنا في المنزل الذي أنشأهُ والذي يعود الآن إلى محمد باي. يوجد بهذا المنزل حقلين وبئرين. لقد زرع هو بنفسه ثمانية عشر ألف شجرة زيتون وإثنى عشر ألف شجرة لوز وعنب، أشجار فواكه، وبه أيضًا معصرة زيتون؛ والتي قد اختفت. تتكون القرية من ثلاثين منزلاً وجامع وحيد...الذين يسكنون هنا هُم من المسلمين الأندلسيين لديهم شيخ من أمتهم وبعض البدويين. من بينهم بعض من عائلة ورفلة...

مدينة قرمبالية (زيارة مؤرخة بـ 17 أكتوبر 1727)

مررنا على قرمبالية، وهي قرية أندلسية حيث يوجد قصر، هو اليوم على ملك محمد باي، ولكن أنشأهُ مصطفى دي كردیناس، مسلم أندلسي من الذين طردوا من إسبانيا.

قرى نيانو، الخوين، تركي، الجديدة، بلي (زيارة مؤرخة بـ 23 سبتمبر 1726)

على اليد اليمنى تُوجد نيانو والتي هي قرية المسلمين الأندلسيين، وتوجد الخوين، تركي، الجديدة، يسكنها أيضًا الأندلسيون. دخلنا إلى بلي التي أنشأها ويسكن بها المسلمون الأندلسيون على أنقاض مدينة قديمة...

هذه القرية توجد في نفس السهل الذي توجد به سليمان...يوجد بها ثلاثمائة منزل، ويسكنها مسلمون أندلسيون وبدويين، (ويوجد بها) جامع وبعض الأولياء.

ملحق رقم:2. الدفاتر المتعلقة بالوطن القبلي في الأرشيف الوطني التونسي مُرتبة حسب نوعية الدفتر (1758-1870)[46]

ملخص الدفتر	السنة	نوعية الدفتر	رقم الدفتر
قائمة اسمية لفقراء الوطن القبلي الذين وقع إعفائهم من الإعانة	1868-1869	مجبى	1007
أسماء الأشخاص الذين انضموا إلى الجيش مع ذكر تاريخ الانضمام وجهتهم	1862	تجنيد	3290
أسماء "السواقط" والعجز من كل الجيوش ويذكر الاسم والجهة	1861-1864	تجنيد	3293
مداخيل بيت المال ومنها خطية الوطن القبلي من ماشية أيام "الهرج"	1758-1759	خطايا	110
الضرائب الموظفة على الوطن القبلي	1849	خطايا	484
نسخ من رسائل من عامل الوطن القبلي إلى عدت مسئولين وأشخاص	1881-1887	مراسلات	4019
إحصاء زياتين الوطن القبلي وبه أمر الباي لإستخلاص الأداء المترتب	1848	قانون	1666
إحصاء زياتين الوطن القبلي وبه أمر الباي لإستخلاص الأداء المترتب	1846-1847	قانون	1667
إحصاء زياتين الوطن القبلي وبه أمر الباي لإستخلاص الأداء المترتب	1849	قانون	1668
إحصاء زياتين الوطن القبلي وبه أمر الباي لإستخلاص الأداء المترتب	1869-1870	قانون	1669
إحصاء زياتين الوطن القبلي وبه أمر الباي لإستخلاص الأداء المترتب	التاريخ غير محدد	قانون	1707
قانون الوطن القبلي	1866-1870	قانون	1742
مماثل للدفتر عدد1742	1867-1870	قانون	1743
محاسبة العمال على الخطايا التي يستخلصونها ومنها الوطن القبلي	1741-1745	مُحاسبة عُمال	1763

[46] قمنا باستخراج هذه القائمة من كتاب: المنصف الفخفاخ، 1990.

محاسبة العمال على إعانة الوطن القبلي ومحصولاته والأصول والأموال والقوانين المُتخلفة	1858-1867	مُحاسبة عُمال	1831
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1810-1811	العشر	1033
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1814-1815	العشر	1036
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1824-1825	العشر	1047
عشر الوطن القبلي مع التمييز بين الرواتبية والرعية وذكر عدد المواشي	1836-1837	العشر	1072
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1837-1838	العشر	1073
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1840-1841	العشر	1077
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1841-1842	العشر	1079
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1843-1844	العشر	1082
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1843-1844	العشر	1084
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1844-1845	العشر	1085
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1845	العشر	1087
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1845	العشر	1088
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1847	العشر	1100
محاسبة الذين لم يؤدوا شعير العشر	1847-11848	العشر	1102
قياس المواشي لعشر الوطن القبلي	1847-1848	العشر	1104
تسجيل لما بقي من الحبوب من العشر التي لم يؤدها أربابها للدولة	1852-1862	العشر	1121
تسجيل لما بقي لدى السكان من حبوب وفول العشر الذي لم يؤدى للدولة	1852-1854	العشر	1122
قياس عشر الوطن القبلي	1852-1853	العشر	1125
عشر ولزمة بعض الهناشير	1852-1853	العشر	1126
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1853-1854	العشر	1129
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1854-1855	العشر	1137
عشر الوطن القبلي قمحًا وشعيرًا وفولاً	1855-1856	العشر	1139
محاصيل زياتين أملاك الباي	1856-1857	العشر	1149
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1857-1858	العشر	1171
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1858-1859	العشر	1184

عشر دخانية الوطن القبلي شعيراً وقمحاً	1859-1860	العشر	1229
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1859-1860	العشر	1231
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1860-1861	العشر	1248
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1860-1861	العشر	1263
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1860-1861	العشر	1289
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1859-1860	العشر	1310
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1861-1862	العشر	1338
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1861-1862	العشر	1351
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1862-1863	العشر	1393
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1863-1864	العشر	1434
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1862-1863	العشر	1445
بقايا أعشار لم يؤدها أصحابها إلى الدولة ومنها جهة الوطن القبلي	1863-1864	العشر	1448
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1862-1863	العشر	1464
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1865-1867	العشر	1498
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1865-1867	العشر	1499
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1864-1866	العشر	1506
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1865-1866	العشر	1509
عشر الشعير	1864-1865	العشر	1527
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1865-1866	العشر	1530
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1866-1867	العشر	1567
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1866-1867	العشر	1568
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي مع ذكر عدد المواشي	1868-1869	العشر	1610
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1871-1872	العشر	1632
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	1871-1872	العشر	1633
محصول الدولة من عشر الوطن القبلي	0000	العشر	1636
محاسبة الوكلاء ومنها عشر الوطن القبلي	1776-1788	العشر	1773
إحصاء سكان الوطن القبلي لأداء الإعانة	1859-1861	إحصاء سكان	747

إحصاء سكان الوطن القبلي لأداء الإعانة	التاريخ غير محدد	إحصاء سكان	767
إحصاء شامل للسكان الذكور مع بيان أعمارهم لأداء الإعانة	1861-1862	إحصاء سكان	843
إحصاء السكان القادرين على الإعانة	1860-1861	إحصاء سكان	853
إحصاء السكان القادرين على الإعانة	1861-1863	إحصاء سكان	876
اسماء وأملاك للسكان وتحديد المجبى	1867-1868	إحصاء سكان	970
مجابي سكان الوطن القبلي والعروش الموجودة بالمنطقة	1868-1869	إحصاء سكان	997

المصادر والمراجع

المخطوطات

Budinar, *Historia de Túnez*, traducida del arábigo al español por Mohamet el Tahager de Urrea, siendo su amanuense Fr. Francisco Ximénez, Madrid, Real Academia de la Historia, 1727, ms.9/6015.

Ximénez Francisco, *Discurso de Túnez*, ms.9/6010 a 6014, Real Academia de la Historia, Madrid,

المصادر والمراجع

ابن أبي الضياف أحمد، 1990، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق محمد شمام، الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن أبي دينار أبو عبد الله، 1993، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت.

ابن المرابط القفصي المنتصر، 1998، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق لطفي عيسى وحسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس.

الإمام رشاد، 1981، « الأندلسيون في البلاد التونسية في منتصف القرن 19 من خلال خزينة الوثائق التونسية »، **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 23-24، صص293-318.

برباري تراكي، 2014، **بلدة سليمان في الفترة ما بين 1875 - 1877 من خلال دفتر عدول**(ماجستير)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس.

بن ميلاد لطفي، 2009، « الأصول الوسيطية لقرية مورسكية: منزل بوزلفة نموذجًا »، **دراسات أندلسية**، عدد41، ص.75-83.

بوغلاب أحمد، 2012، **سليمان درة الأوطان**، جمعية صيانة مدينة سليمان، تونس.

بوغلاب أحمد، 2015، **سليمان ذاكرة الأيام**، جمعية صيانة مدينة سليمان، تونس.

بيسونال جون أندريه، 2004، **الرحلة إلى تونس**، ترجمة وتحقيق محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس.

السراج أبو عبد الله محمد، 1984، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق وتقديم الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

شاشية حسام الدين، 2015، **السفارديم والمورسكيون، رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (1492-1756)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

شاشية حسام الدين، 2021، « الموريسكيون في تونس: إعادة قراءة لروايات الانتماء »، في لطفي عيسى، **مساءلة الانتماء من منظور المباحث التاريخية التونسية**، كلمة للنشر والتوزيع تونس، صص151-199.

الفخفاخ المنصف، 1990، **موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي**، تونس، الأرشيف الوطني التونسي، 1990.

مصطفى زبيس سليمان، 1977، «جامع بلد سليمان »، **مجلة الهداية**، العدد 1، صص. 71-75.

الورتتاني محمد مقداد، 1914، **البرنس في باريس: رحلة من القيروان إلى فرانسا وسويسرة**، المطبعة الرسمية، تونس.

Ben Ali Muhiddine, 1976, «Un pueblo andalusí en el siglo XIX: Solimán", *Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos*, Granada, p.97-114.

De Epalza Mikel, 1980, « Nouveaux documents sur les Andalous en Tunisie aux débuts du XVII[e] siècle », in *Revue d'Histoire Maghrébine*, N°17-18, p.79-108.

De Epalza Mikel, 1984, « Nuevos documentos sobre descendientes de moriscos en Túnez en el siglo XVIII[e] » in *Studia historica et philologica in honorem M. Batllori*, Instituto Español de Cultura, Roma, p.195-228.

Gafsi Abdel-Hakim, 1995, « Aperçu sur l'ancien 'palais' de Mustafa de Cardenas à Grombalia », in *Mélanges Louis Cardaillac*, , F.T.E.R.S.I., Zaghouan, p.303-318.

Gandolphe Marcel, 1918, « Note inédite sur Testour et sur une famille hispano-juive habitant ce village en 1746 », in *Revue Tunisienne*, N°25, p.47-48.

Latham John Derek, 1983, « Muçt'afa de Cárdenas et l'apport des morisques à la societé tunisienne du XVIII[e] siècle », in *Études sur les moriscos andalous en Tunisie*, Dirección General de Relaciones Culturales, Madrid-Tunis, p.157-178.

Saadaoui Ahmed, 1996, *Testour du XVII[e] au XIX[e] siècle. Histoire Monumentale d'une Ville Morisque de Tunisie*, Publications de la Faculté des Lettres de la Manouba, Tunis.

Saadaoui Ahmed, 2017, « Les Andalous au Cap-Bon : mise en valeur des terres, urbanisation et architecture », in *La péninsule du Cap Bon entre crises et mutation*, Académie tunisienne des Sciences, des Lettres et des Arts, Carthage, p.133 -168.

Sethom Hafedh, 1973, « L'apport andalous à la civilisation rurale de la presqu'île du Cap Bon », in *Études sur les moriscos andalous en Tunisie*, Dirección General de Relaciones Culturales, Madrid-Tunis, p. 369-373.

Ximénez Francisco, 1934, *Colonia trinitaria de Túnez*, s.n., Tetuán.

المواقع الإلكترونية

"المأكولات الأندلسية في سليمان"، الرابط: https://moriscostunez.blogspot.com/2009/04/las-comidas-dorigen-moriscas-en-soliman.html، بتاريخ 22 جويلية 2019.

رابط الأغنية المنسوبة كلماتها لمصطفى دي كرديناص: https://youtu.be/omChJa2VAcI، بتاريخ 28 جانفي 2022.